الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵓⵔⵉⵜ ⵜⴰⵏⴰⵎⵓⵔⵜ ⵏ ⵜⵣⵣⵓⵔⵉⵜ ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ

اللّجنة البيداغوجية الوطنية للإشراف ومتابعة تنفيذ برنامج التّكوين الأولي في الطور الثالث في مؤسّسات التعليم العالي.

"اللّجنة البيداغوجية الوطنية لمادة الفلسفة"

تدريس الفلسفة في الطور الثالث
طبقاً للقرار الوزاري رقم 1419
ومخرجات اللّجنة الوطنية البيداغوجية لمادة الفلسفة

مداخلة نموذجية تكوينية حول المحور الأول "فلسفة الحوار والتواصل"
في الملتقى التكويني حول « منطق العلاقة بين الحضارات »

الهدف : تدريب الطلبة على اعداد مداخلة في ملتقى أو ورشة ، ندوة ، يوم دراسي ... إلخ

عنوان المداخلة

الفرق بين أهداف فلسفة الحضارة عند الغرب و الشرق - أرنولد توينبي ومالك بن نبي أنموذجا

إعداد : أ.دة/ شيكو يمينة

أستاذة في المدرسة العليا للأساتذة – بو زريعة – الجزائر

c_yamina@hotmail.fr

الملخص

إن اهتمام الفلاسفة بالحضارة في الفكر المعاصر لم يكن من قبيل المصادفة أو الترف الفكري، بل كان نتيجة ظروف اجتماعية وعلمية دفعتهم إلى ذلك. فمالك بن نبي وأرنولد توينبي عاشا في فترة زمنية واحدة، غير أن دوافع أرنولد توينبي كانت مغايرة لدوافع مالك بن نبي: فقد كان قلق أرنولد توينبي على مصير الحضارة الغربية بل والبشرية كلها هو السبب الذي دفعه الى كتابة نظرية في فلسفة الحضارة، بينما كان مالك بن نبي يطمح من وراء ذلك الى نهضة العالم الاسلامي من جديد. فكان من نتائج ذلك أن كانت لكل منهما نظرية فلسفية حول التعاقب الدوري للحضارات. غير أن مفاهيم وأسس نظريتيهما جاءت مختلفة بناء على ما تقدم ذكره.

كلمات مفتاحية : الحضارة -مصير الحضارة الغربية -أرنولد توينبي - النهضة - العالم الإسلامي - مالك بن نبي

المداخلة

مقدمة :

ان موضوع الحضارة من أهم المواضيع التي تثار في عصرنا لما له من صلة قوية بواقعنا، فهو يتعلق بمصير الشعوب وما تطمح إليه من تقدم مادي بصفة عامة ومعنوي بصفة خاصة.
وقد قامت عدة دراسات حول فكرة الحضارة أدت الى ظهور العديد من النظريات، تحدد مفهوم الحضارة، حسب المبادئ التي يراها أصحابها ويؤمنون بها. وأرنولد توينبي ومالك بن نبي من بين هؤلاء.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية تناول هذا الموضوع، في كونه يمس قضية مستقبل المجتمعات المتحضرة والمتخلفة على حد سواء. وكلها تطمح الى مخرج مما تعانيه في واقعاها، كما سيأتي بيانه من خلال التعرض لذكر أهمية كل من أرنولد توينبي ومالك بن نبي، وانشغالهما بمشكلات الحضارة في هذا العصر. فقد عاشا المشاكل وكل الاحداث المعاصرة، فكان نتاجهما الفكري مبنيا عليها.

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة الى بيان الفرق بين أهداف فلسفة الحضارة عند الغرب والشرق، من خلال نموذجين معاصرين، هما مالك بن نبي وأرنولد توينبي، وبيان طبيعة نظريتيهما في الحضارة.

الإشكالية

ما هي الخلفية التي كانت وراء اهتمام كل من أرنولد توينبي ومالك بن نبي بالحضارة؟ وهل كونهما عاشا في قترة زمنية واحدة يعني ان نظرتهما الى الحضارة تكون واحدة؟ وان وجد اختلاف في الرؤى فإلى ماذا يعود ذلك؟

منهجية البحث

كما هو معلوم في الدراسات الفلسفية، فإن المنهجية المتبعة هي الطريقة التحليلية النقدية. الغرض منها محاولة فهم أبعاد الفكر الحضاري عند كل من مالك بن نبي وأرنولد توينبي، ومعرفة كيفية تحليلهما للمجتمعين الغربي والشرقي، والتعرف على أسس ومفاهيم نظريتيهما الحضارية.

أرنولد توينبي

مالك بن نبي

دوافع اهتمام أرنولد توينبي ومالك بن نبي بفلسفة الحضارة

لقد كان وراء اهتمام مالك بن نبي وأرنولد توينبي بفلسفة الحضارة أسباب فكرية واجتماعية وحضارية، يمكن الإشارة الى بعض منها كما يلي :

1-تشويه مفهوم الحضارة

منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين كانت كلمة " حضارة الشعوب الإفريقية" تعني محاولة تطور أو تحضر هذه الشعوب من قبل الشعوب الأوروبية المتحضرة، وليس مجموع أساليب العيش والتفكير (وهو المثال نفسه الذي نجده في القاموس الفرنسي في طبعة سنة 1959). Le Petit Larousse

إن الفكرة القائلة بأن الحضارة الحقيقية ليست إلا الحضارة الأوروبية قد أدت إلى ظهور نوع من التقسيم للمجتمعات إلى ثلاثة مستويات رئيسية هي: **التوحش، الهمجية، والحضارة،** وذلك ما تذهب إليه نظرية التطور والتي يعتبر جيبون أحد روادها.

ويذكر معجم الحضارات الإفريقية: " **يكفي أن حربين عالميتين وازمات اقتصادية وجرائم جماعية لا تخطر ببال قد حدثت خلال عشرات السنين الماضية لتضع حدا لذلك الزعم**، أي **التفوق المطلق للحضارة الأوروبية".**

ويعتبر أرنولد توينبي من أبرز الشخصيات الأوروبية التي استبعدت ونقدت ذلك الحكم الذي كاد يستقر في فكر الاوروبيين، ورأى بأن ذلك: " وهم راجع الى سيادة الحضارة الغربية الحديثة في المجالين الاقتصادي والسياسي، وهي أنانية تماثل ادعاء اليهود بأنهم شعب الله المختار، أو قدامى اليونان أن غيرهم من الامم برابرة".

وبالرغم من دحض هذا الزعم، إلا أن العالم الثالث لايزال يشعر بالنقص أمام العالم الغربي، وليس أدل على ذلك من محاولته النهوض بوسائل أوروبية، معنوية كانت أم مادية. وهذا ما حاول المفكر الجزائري مالك بن نبي أن يعالجه في سلسلة كتبه (مشكلات الحضارة).

2 -الفراغ العقائدي و القلق على المصير

إن القلق هو صفة الجيل المعاصر في الغرب و الشرق على حد سواء، و المسؤولية عن المصير سؤال مثار هنا و هناك يقرر الجواب عليه ماهية الانسان المعاصر و يعين الغاية من وجوده في التاريخ.

لقد تنبه الى هذا المشكل كل من مالك بن نبي و أ. توينبي محاولين تحديده ثم علاجه. لقد نظر كلاهما الى سير الحضارات عموما و الى الواقع الحضاري في عالم اليوم بوجه أخص، فوجداه يعاني أخطر الازمات التي تعرض لها في وجوده، و هي الازمة الروحية. و ذلك ما حاول أن يوضحه كل منهما في مؤلفاته.

فخلاصة لما يراه أ. توينبي أن الانسان بما هو فعل و حرية و مسؤولية و إيمان و محبة ، و بما هو في جوهر إنسانيته تلك الطاقة الروحية الخلاقة القادرة على أن تولد و أن تسخر بالتالي جميع ما ينبثق منها من النشاطات العقلية و المادية في سبيل تحقيق الغاية المثلى من وجودها، هو المسؤول و هو المستطيع أن ينتصر على الازمة، و أن يخرج منها أقوى و اكمل. و لذلك يلح أ. توينبي على الانسان و يبصره بماهيته العظمى و يدله على طريق الحق و الحياة - طريق الله، ليسلكها و يرتقي عبر القلق، و عبر التناقض الى الغاية من وجوده و من وجود العالم. و هو الطريق نفسه الذي كان يدعو اليه مالك بن نبي من خلال التذكير بالآية القرآنية: **"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".**

1- ارنولد توينبي: (1889-1975م)

ارنولد توينبي فيلسوف ومؤرخ انجليزي ولد في لندن وسط اسرة معروفة بمكانتها الثقافية. تلقى تعليمه في مانشيستر، جامعة اكسفورد، أين اصبح مدرسا في عام 1912 م. و عمل في وزارة الخارجية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى. حضر مؤتمر الصلح الأول في باريس، عام 1919 ومؤتمر الصلح الثاني عام 1946، وفي عام 1924 اصبح مديرا للمعهد الملكي للشؤون الخارجية الى غاية 1955. قام بجولات واسعة النطاق، ألقى محاضرات فيها من بينها:

(استعراض لتاريخ العالم في نصف القرن الأخير) و (اسلوب الحياة الغربي في الميزان) و(مشكلة السكان والغذاء في العالم) و(الشرق الأوسط والسياسة العالمية).

توفي في 22 اكتوبر 1975، فهو مؤرخ وفيلسوف له وزنه، لما يتمتع به من مكانة علمية في الفكر و التاريخ الإنسانيين. فهو من أعظم المؤرخين العالميين المعاصرين، قيم الحضارات السابقة على الحضارة الأوروبية تقييما علميا موضوعيا. وكتابه (دراسة التاريخ) من أعظم المصادر التاريخية التي ظهرت في النصف الأول من هذا القرن. وهو موسوعة مسهبة مؤلفة من عشرة مجلدات تناول فيها قضايا تاريخية مهمة في نشوء الحضارات و تكوينها و نموها وتوقفها عن النمو و انحلالها.

وقد عالج تطورات المجتمعات البشرية في مؤلفاته العديدة، وحرص على استخلاص شيء يشبه القانون العام أو المذهب الشامل في نظرية الحضارات التي درسها: فلم يكتف بذلك بدور المؤرخ بل تعداه إلى فيلسوف التاريخ.

كان فكره صرخة تحذير من الخطر الكبير الذي يحيق بمستقبل العالم الغربي، ويهدد حضارة الدول الصناعية بالسقوط. وتعرض توينبي لأهم مشاكل العصر وفي مقدمتها ظاهرة العنف المتزايد، فقرن تزايد العنف بتزايد التصنيع في الدول الغربية من جهة، وبالظلم الاجتماعي الذي يحيق بالأفراد و بالجماعات من جهة ثانية. كما تطرق لاستعراض وتحليل الأساليب الممكنة لتحقيق العدالة الاجتماعية والاستقرار والسلام في أنظمة الدول المعاصرة وطرح عددا من الحلول وفق نظريته الخاصة.

و قد اهتم منذ مطلع شبابه بواقع البلاد العربية، فكان من ثمار ذلك دراسته القيمة عن أحوال الشرق الأوسط والعالم العربي بما في ذلك القضية الفلسطينية، من خلال مقالاته و مناظراته، فدافع عنها دون الإذعان لضغوط الصهاينة او الانصياع لضجيجهم ويقرر بأن علاج العنف لا يمكن تحقيقه إلا بإزالة أسباب العنف، و بأن الظلم الذي مازالت إسرائيل تلحقه بالشعب الفلسطيني المشرد هو أساس لكل مشكلة. فالإسرائيليون يسلكون في الشرق الأوسط سلوك أقلية حاكمة من المعمرين، ويعتمدون على القوة في فرض سيادتهم على المنطقة.

2 - مالك بن نبي: (1905 - 1973)

إن مالك بن نبي مفكر جزائري له وزنه في العالم الاسلامي، فهو من أبرز النماذج التي قدمها المغرب العربي للفكر العربي الاسلامي، تارة باللسان الفرنسي و مرة باللسان العربي. لقد أسهم في علاج كثير من مشكلات العالم الاسلامي بسلسلة كتبه التي ألفها ووضعها تحت عنوان " مشكلات الحضارة ". فكانت تعبيرا دقيقا عن فكرة الحضارة التي آمن بها والتي اعتبرها الجزء الاساسي لدراسة مشكلات الشعوب.

وقد طارده الاستعمار الفرنسي، ولم يسمح له بالراحة في وطنه الجزائر. فرحل الى مصر وأقام بها، فكتب هناك " شروط النهضة" باللغة الفرنسية، وغيرها من الكتب، وصار بسلسلة كتبه ومحاضراته رائد مدرسة جديدة في الفكر النهضوي الاسلامي المعاصر.

ومالك بن نبي يختلف كثيرا عن الدعاة والمفكرين والكتاب، آنذاك. فهو مفكر أصيل له طابع العالم الاجتماعي الدقيق. " وفلسفته تقوم على النظر في التاريخ الانساني والتعمق في احداثه واسبابها، واستنباط الحقائق الاجتماعية التي نستطيع ان نفيد منها في معالجة أزمتنا الحاضرة على ضوء ما أصابنا في الماضي من فشل أو نجاح."

كيفية طرح مشكلة الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي

كيف طرحت مشكلة الحضارة في الغرب من قبل المؤرخ والفيلسوف الإنجليزي أرنولد توينبي؟ وكيف طرحت في الشرق الاسلامي من قبل المفكر الجزائري مالك بن نبي؟
لقد حاول كل من المفكرين علاج هذه المشكلة بطريقته الشخصية، ومن المؤكد أن لكل منهما دوافعه وأهدافه الخاصة من هذه الدراسة.
فمالك بن نبي نشأ وعاش في ظروف قاسية تتمثل في وطنه المحتل وسيطرة المستعمر واحتقاره لكل مظاهر الانتماء للعرب والإسلام ومحاربته لها، أضف إلى ذلك التخلف الحضاري الذي كان يسود الجزائر بل العالم الإسلامي كافة، لذلك ركز مالك بن نبي اهتمامه حول "مشكلة النهضة"، فجاءت نظريته تحمل في طياتها هذه الفكرة، لذلك نجده في دراسته لا يخرج عن إطار ثقافة وطنه الدينية التي أعطاها قيمة كبيرة، بل أبرزها لمواطنيه العرب في صورة جديدة يعتقد أنها قادرة على المضي بهم نحو النهضة.
فالهدف من تعرض مالك بن نبي لمشكلة الحضارة هو النهضة بعالم يعيش في تخلف وكانت كتاباته موجهة بصفة خاصة إلى الشعوب التي خرجت حديثا من الاستعمار الذي خلف وراءه الجهل والتخلف والفقر، وهي لا تملك إلا شيئا واحدا إيجابيا هو الدين وتكاد تضيعه

هو الآخر، في غمار الجهود المبذولة من أجل النهضة، دون أن تشترك الآراء في تحديد الأهداف والاتجاهات.
لذلك يحاول مالك بن نبي أن يعيد للشعوب الإسلامية ثقتها بنفسها، خاصة ونحن نعيش في عالم يبدو فيه امتداد الحضارة الغربية قانونا تاريخيا لعصرنا، فيحذر من خطر التخلي عن الدين حتى لا يسود الفراغ الروحي، لذلك يبين مالك بن نبي اهمية الدين وكيف يمكن استغلاله، لأنه القاعدة الأساسية التي نبني من خلالها عالم الأشخاص، و بالتالي تنعكس العلاقات التي تسود هذا العالم على جميع النشاطات.
أما بالنسبة لأرنولد توينبي، فإن الظروف التي دفعته إلى الاهتمام بفلسفة الحضارة فهي غير ظروف مالك بن نبي، وهدفه بالتالي غير هدف هذا الأخير: لقد أثارت الحرب العالمية الأولى فضلا عن كتاب الفيلسوف الألماني (أوزوالد شبنغلر 1880 - 1936م) " تدهور الغرب" قلق توينبي على مصير الحضارة الغربية. فأكب على دراسة الحضارات السابقة للتعرف على أسباب تدهورها و فناء بعضها. وكانت ثمرة هذه الدراسات موسوعته الضخمة في التاريخ " دراسة التاريخ".
وهذا لا يعني أن توينبي ركز اهتمامه حول الغرب فقط وكيفية انقاذه، بل أولى اهتماما كبيرا للمجتمعات غير الغربية، ونلاحظ ذلك من خلال محاضراته وكتاباته، ففي محاضرة بعنوان:" اسلوب الحياة في الميزان" ألقاها في مصر خلال زيارته لها شهر أفريل عام 1964، يضع توينبي أسلوب الحياة الغربي في كفة الميزان، ليستخلص مزاياه وعيوبه و ينبه أبناء الشرق وغيرهم من الذين أخذوا من الحضارة الغربية بنصيب غير قليل، وبهرتهم هذه الحضارة وافتتنت بها نفوسهم، إلا أن هذه الحضارة الغربية ليست خيرا كلها.
فلها عيوبها، والفرصة أمام هذه الشعوب مازالت سانحة، إذ أن في وسعهم أن يتجنبوا عيوب المجتمعات الغربية، و يسيروا في طريقهم الخاص من اقتباس ما يلائمهم فقط من حضارة الغرب، و يقول أ. توينبي في هذه المحاضرة: " على أن هذه البلاد التي نجحت في أن تحرر نفسها من سيطرة الغرب السياسية، قد استغلت حريتها على نحو غير متوقع على الإطلاق، فقد ناضلت هذه البلاد بعنف شديد ضد السيطرة السياسية للغرب، ويمكن القول بأن كفاحها هذا قد تكلل بالنجاح في كل الحالات حتى الآن، وقد كان من المتوقع بعد أن تمكنت من أن تتحرر سياسيا من الغرب، أن تستخدم هذه الحرية الجديدة التي اكتسبتها في النضال ضد المدنية الغربية بوجه عام، أي أنه كان من المتوقع أن تستخدم هذه البلاد حريتها المكتسبة حديثا لكي ترجع إلى اسلوبها التقليدي في الحياة، وهو الأسلوب الذي كان سائدا في حياتها قبل أن يسيطر عليها الغرب، ولكن الذي حدث في جميع الحالات تقريبا كما نعلم، هو أن البلاد التي تحررت حديثا قد استخدمت حريتها للغرض العكسي

تماما، أي أنها قد استخدمتها لتقتبس بمحض اختيارها عناصر من المدنية الغربية، أعني من أسلوب الحياة الحديثة.
وقد فعلت ذلك بحماسة، وبلغت حماستها هذه حدا لم يكن الحكام الغربيون السابقون يجرؤون على ان يفرضوا به المدنية الغربية عليهم".
ثم يحذر توينبي في نفس المحاضرة الشعوب العربية من الانقياد الأعمى نحو تقليد الحضارة الغربية دون تمييز بين ما هو نافع وما هو ضار في قوله: " أعتقد أنه سيكون من سوء حظ الأغلبية غير الغربية من الجنس البشري، بل من سوء حظ الجنس البشري كله، وضمنه الغرب ذاته ... وأقول إن هذا يكون من سوء الحظ لأن المدنية الغربية شأنها شأن أية مدنية أخرى، فيها أوجه نافعة وأوجه ضارة."

وجاءت كتابات مالك بن نبي و كأنها استجابة لهذا النداء من أ. توينبي. فمالك بن نبي حاول من خلال ما كتب أن يلفت انتباه العالم الاسلامي الى الطريق السليم نحو النهضة خلال اقتباسه من الحضارة الغربية. يقول في كتابه (شروط النهضة) في الفصل الذي عنوانه (من التكديس الى البناء) : " إن المقياس العام في عملية الحضارة هو ان الحضارة هي التي تلد منتجاتها. و سيكون من السخف و السخرية حتما أن نعكس هذه القاعدة، حين نريد أن نصنع حضارة من منتجاتها... و نحن في القرن العشرين نعيش في عالم يبدو فيه امتداد الحضارة الغربية قانونا تاريخيا لعصرنا. ففي الحجرة التي أكتب فيها الآن كل شيء غربي ، فيما عدا (القلة) التي أراها أمامي. فمن العبث إذن أن نضع ستارا حديديا بين الحضارة التي يريد تحقيقها العالم الاسلامي و الحضارة الغربية. و لكن هذا يجسم المشكلة بأكملها، فليس من الواجب لكي ننشئ حضارة أن نشتري كل منتجات الاخرى. فإن هذا يعكس القضية ... و يقود في النهاية إلى عملية محالة كما و كيفا. "
و ما يلاحظه مالك بن نبي أن العالم الاسلامي يعمل أكثر من نصف قرن على جمع أكوام من منتجات الحضارة الغربية، أكثر من أن يهدف إلى بناء حضارة. و قد تنتهي هذه العملية ضمنيا الى أن نحصل على نتيجة ما، " بمقتضى مايسمى بقانون الاعداد الكبيرة ، أي قانون الصدفة، فكوم ضخم من المنتجات المتزايدة دائما يمكن أن يحقق على طول الزمن و بدون قصد (حالة حضارة) . و لكننا نرى فرقا شاسعا بين هذه الحالة الحضارية و بين تجربة مخططة، كتلك التي ارتسمتها روسيا منذ اربعين عاما و الصين منذ عشر سنوات".

وفي نظر مالك بن نبي إن الحضارة تنحل إلى ثلاث مشكلات أولية:

- مشكلة الانسان
- مشكلة التراب
- مشكلة الوقت

فلكي نقيم بناء حضارة لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات ، و إنما بأن نحل هذه المشكلات الثلاث من أساسها. و بناء على هذه النظرة التحليلية لواقع العالم الاسلامي يقدم لنا مالك بن نبي نظرية في الحضارة.

نظرية الحضارة عند أرنولد توينبي و مالك بن نبي

1- أرنولد توينبي وأوزوالد شبينغلر

يعترف ا. توينبي بما كان لشبينغلر و كتابه (انحلال الغرب) من إجلال في نفسه و تأثير على " دراسته في التاريخ" . غير أنه لم يجد فيه مبتغاه، فقال: " و لكنني عندما حاولت أن أجد في كتابه تفسيرا لعملية التطور الحضاري تيقنت أن ثمة عملا كبيرا ينتظرني للقيام به. و قد بدا لي شبنغلر تقريريا الى درجة الغموض ، إذ يعتبر أن الحضارات تنشأ و تتطور و تنحل و تزول وفقا لسنة ثابة لا تتبدل. إن ما اكتشفه اشبنغلر لا يخرج عن كونه قانونا طبيعيا لا يترك لنا بحتميته مجالا لغير التصديق بما قال العلم... وهذا الحكم الكيفي يشعرنا بالخيبة".

يأخذ أ. توينبي إذن على شبنغلر حتميته في تفسير التاريخ الحضاري، و يخالفه الراي في أن يكون المصير هو قوة مطلقة السيطرة يخضع لها الانسان خضوعا تاما، و يرى أن تمثيل المجتمع بشخصية أو كيان حي ، لن يهيئ لنا تعبيرا مناسبا ، يبين علاقة المجتمع بأعضائه الافراد.

لذلك يرى توينبي ان الذات الانسانية إنما تحد بعون الله من سلطان ذلك المصير و تفعل فيه و توجهه، و يرى أنها تفعل ذلك بما أودعه الله فيها من قوى الروح الخلاقة ومن دينامية الحرية القصوى.

فجاءت نظريته تحمل هذا التفاؤل المخالف لتشاؤمية شبنغلر، فعكف على دراسة الحضارات السابقة في محاولة لمعرفة عوامل نشأتها و تدهورها و سقوطها.

2 - التفسير الحضاري لأرنولد توينبي

لقد درس توينبي الحضارات و خرج منها بموسوعة كبيرة هي " دراسة التاريخ". و كانت دراسته عبارة عن تفسير لأحوال الحضارات من نشوء و تطور و انحطاط. و قد كان هدفه هو العثور على قوانين يفسر بها سير الحضارات فخرج منها بمجموعة من المفاهيم سماها **مبادئ الحضارات**، و هي كالآتي:

1 - التحدي والاستجابة.

2 - فضائل الشدائد، و هذه الأخيرة تتفرع الى خمس مبادئ، هي:

أ - حافز البلاد الصعبة

ب - حافز الاستيطان في ارض جديدة

ج - الحافز الناتج عن الضربات

ه - الضغط كعامل حافز

و - القصاص كعامل حافز

3 - الوسط الذهبي

4 - الاعتزال و العودة (الاقليات المبدعة)

نشأة الحضارات و تطورها

افترض توينبي خلال البحث عن العامل الايجابي في نشوء الحضارات فكرة ا لتحدي و الاستجابة. فرأى أن الدافع الحيوي في عمليات النشوء الحضاري هو الاستحابة الظافرة لتحدي البيئة المناسبة (الوسط الذهبي). و أن الظروف الصعبة لا السهلة هي التي تستحث الانسان على التحضر، بل إن رقة العيش حائل دون قيام الحضارة .إذ الشدائد هي وحدها التي تستثير الهمم. و تتمثل الظروف الصعبة في بيئة طبيعية ، أو ظروف بشرية. فالطبيعة القاسية تستحث الانسان على تعديل بيئته أو تغيير موطنه.على غرار الحضارة الصينية التي انبعثت من النهر الاصفر و حضارة الفراعنة من نهر النيل.

1 - إن قصور التحدي يجعل الطرف الآخر عاجزا تماما عن استجابة ناجحة.
2 - يحطم التحدي البالغ الشدة روح الطرف الآخر.
3 - يصل التحدي الى درجة معقولة تستثير الطاقات المبدعة و هذه هي وحدها الاستجابة الناجحة.
و يرى توينبي أن جميع أسباب الارتقاء تنبعث من أفراد مبدعين أو أقليات صغيرة من الافراد يتكون عملهم من جزئين:
الاول - تحقيق إلهامهم أو كشفهم مهما يكن من أمر.
الثاني - هداية المجتمع الذي ينتمون اليه الى سبيل الحياة الجديدة.
و يتصف فعل الفرد المبدع بأنه حركة مزدوجة قوامها الانسحاب و العودة .
- الانسحاب (الاعتزال) بغية الاستنارة.
- العودة رجاء إنارة رفقائه.
تتجلى هذه الظاهرة في حياة عدد من الانبياء و الرسل و هداة الامم .

ولكن اذا كان تاريخ البشرية سلسلة من التحدي و الاستجابة ، فما الذي يفسر انهيار الحضارات حسب توينبي؟

سقوط الحضارات:

إن العامل الرئيسي في انهيار الحضارة في نظر توينبي هو فقدان الاقلية الحاكمة الطاقة المبدعة فيها ، و بالتالي نجد المجتمع في حالة الانهيار يتشكل عل النحو الآتي:
1) أقلية مسيطرة فقدت قدرتها على الابداع و أصبحت تحكم بالقهر.
2) بروليتاريا داخلية ذليلة و لكنها عنيدة تتحين الفرصة للثورة.
3) بروليتاريا خارجية انشقت على المجتمع و تقاوم الاندماج فيه و تتحين الفرصة للغزو.
أما بالنسبة لدور الدين في الحضارات ، فقد كان توينبي في المجلدات الستة الاولى، من دراسته يقصر مهمة الدين على حفظ النوع - الحضاري، و جعلها بالنسبة اليه غاية . و لكنه عاد في المجلدات الاربعة الاخيرة، التي أتم بها موسوعته فصحح هذا المبدأ قائلا بأنها ليست مجرد وسائل حضارية فانية ، بل هي نفسها قبلة الارتقاء الحضاري.

3 - التفسير الحضاري لمالك بن نبي

لقد اهتم مالك بن نبي بقضية الحضارة اهتماما كبيرا كما تقدم ذكره، و له تفسير خاص يتعلق بالحركة التاريخية و بسير الحضارة. و ملخص ذلك أن التاريخ نشاط مستمر مسجل على صفحة الزمن بتاثير من عالم الاشخاص و عالم الافكار وعالم الاشياء. مع العلم أن هناك علاقات في عالم الاشخاص ، يسميها مالك بن نبي بشبكة العلاقات الاجتماعية.

و صورة النشاط المشترك في التاريخ تكون تابعة لعالم الافكار. فالسلوك يتبع الافكار و ينفذ ذلك عن طريق عالم الاشياء.

و يقرر مالك بن نبي أن شبكة العلاقات الاجتماعية هي التي تعمل التاريخ الاول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده، و أن جميع العلاقات السائدة بين الناس تعتبر علاقة ثقافية ، أي أنها خاضعة لأصول ثقافية معينة. إذ أن الثقافة في نظره هي : المحيط الذي يصوغ كيان الفرد، كما أنها مجموع من القواعد الاخلاقية و الجمالية...الخ

و يرى مالك بن نبي أن تطور مجتمع ما على أية صورة هو دائما تطور مسجل كما و كيفا في شبكة علاقاته ، و عندما يرتخي التوتر في خيوط الشبكة ، فتصبح عاجزة عن القيام بالنشاط المشترك بصورة فعالة ، فذلك أمارة على أن المجتمع مريض و أنه ماض إلى نهايته.

إن تنظيم العلاقة التي تتيح للمجتمع أن يتم نشاطه المشترك تتم إذا تم تركيب الانسان و التراب و الوقت.

لكن هذا التركيب الذي يتفق من الوجهة التاريخية مع ظهور حضارة معينة لا ينتج تلقائيا، في نظر مالك بن نبي. أنه يتم على إثر حدوث " عارض غبر عادى" ، أو بعبارة أخرى "ظرف استثنائي"، يتفق مع ظهور فكرة دينية في فجر حضارة معينة.

إن الدين في رأيه يخلق نظاما اجتماعيا يستحيل فيه الفرد إلى أفراد كثيرين. و لكن كلما ضعفت العلاقة الدينية تضعف العلاقة الاجتماعية . و من هنا تزداد درجة الفراغ الاجتماعي بين الافراد في محيط هذا المجتمع. و على العكس من ذلك كلما تقوى العلاقة الدينية فإن درجة الفراغ الاجتماعي تقل.

و يرى مالك بن نبي أن للحضارة دورة تمر بثلاث مراحل، تبدأ حينما تدخل فكرة دينية معينة ، أو عندما يدخل التاريخ مبدأ أخلاقي معين. و هذه المراحل هي كما يلي:

-**المرحلة الاولى: و هي مرحلة النهضة** ، تتمثل في ظهور الروح ، و سيطرتها على الغرائز ، و تحكمها في سير الاحداث. و **تليها مرحلة الاوج** متمثلة في ظهور العقل و ازدهار العلوم ، و بداية الغرائز من جديد. **و أخيرا تأتي مرحلة الغرائز** ، و فيها تكون الروح قد فقدت سيطرتها نهائيا، فيخل المجتمع ، و تنهار حضارته في انتظار نعمة روحية ، تشيع في أرجائه ، ليقبل على الارض بمهمة لا تعرف الكلل، حيث يبني الحضارة من جديد.

أبعاد مفاهيم الحضارة عند أ. توينبي و مالك بن نبي

إن المتأمل في المفاهيم التي قدمها توينبي يلاحظ كم كان متفائلا و له ثقة في نجاة البشرية و في استمرار الحضارة الغربية. فعلى سبيل المثال إن مفهوم التحدي و الاستجابة يعني أن الانسان إذا أراد الرقي و التقدم الحضاري و النجاة من المخاطر ، عليه ان يتجاوز الصعاب كتحديات ، بالاجتهاد في إيجاد حلول مناسبة (الاستجابة الناجحة) ، باستمرار دون توقف، لكل المشاكل التي تتحداه عبر الزمن، مهما كانت طبيعة تلك التحديات مادية أو معنوية. أو على حد تعبيره تحديات طبيعية أو بشرية.

كذلك الشأن بالنسبة لمالك بن نبي ، فإن إيمانه بإمكانية نهضة العالم الاسلامي من جديد، جعله يقدم مفاهيم نلمس من ورائها ذلك التطلع الى مستقبل أفضل. و لكن بعد تبصيره بنقائصه و سلبياته و ضرورة تجاوزها.

خاتمة واستنتاج

نستنتج مما تقدم ان الدوافع التي أدت بأرنولد توينبي الى الاهتمام بالحضارة كانت مختلفة عن دوافع مالك بن بي: فبالرغم من ان كلاهما كان قلقا على مجتمعه، ويطمح الى استشراف المستقبل، فإن تحليلهما لأوضاع مجتمعيهما كان مختلفا وبالتالي فإن طبيعة دراستيهما كانت مختلفة في أبعادها ومفاهيمها.

توصيات

- ان الواقع الذي نعيشه، يدعونا الى ضرورة العناية بمثل هذين الفيلسوفين، وذلك بضرورة التعريف بهما ومؤلفاتهما، وبالقضايا التي عالجاها.
-الدراسات حول أرنولد توينبي ينبغي ان تكون أعمق، وتوفر لها الوسائل.
- تنظيم ملتقيات أو ندوات أيام دراسية...الخ حول الموضوع، لمدى أهميته.

المصادر و المراجع

[1] - EDWARD GIBBON: -1776) مؤرخ انجليزي ولد في بوتناي 1737-1792 وهو مؤلف كتاب انهيار وسقوط الإمبراطورية الرومانية (1788

[2] - DICTIONNAIRE DES CIVILISATIONS AFRICAINES, Edition FERNAND HAZAN, 1968, paris, page 105

[3] -Dictionnaire des Civilisations Africaines، page 105

[4]- احمد محمود صبحي: في فلسفة الحضارة، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، ص 259

- 5 ـ منح خوري: التاريخ الحضاري عند توينبي، ط1، 1960، بيروت ص 7

[6]- منح خوري، المرجع السابق ، ص 8

[7]- سورة الرعد، الأية 11

[8] الجمهورية، جريدة مصرية، عدد خاص بمناسبة المهرجان التكريمي للمؤرخ العالمي توينبي، مطابع دار الجماهير للصحافة، 1977/10/26، مصر، ص 3_13

[9] مجلة الثقافة: العدد 12 جانفي 1975، الجزائر، ص 58

[10]- جريدة الجمهورية، مرجع سابق، ص 13

[11] ـ مجلة الثقافة، المرجع السابق، ص 59

[12] ـ مجلة الفكر الاسلامي: العدد الاول / اوت 1964م، الجزائر، ص45

[13] ـ محمد محمد حسنين: مفكرون إسلاميون، مخطوط منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، ص2

[14] ـ أنور الجندي: الفكر و الثقافة في شمال افريقيا، المكتبة العربية، 1945، القاهرة، ص64

[15] ـ محاضرات أرنولد توينبي: ترجمة د. فؤاد زكريا ، الدار القومية للطباعة و النشر، 1954، القاهرة، ص 36

[16] ـ المرجع نفسه، ص 37

[17] ـ مالك بن نبي: شروط النهضة ، ترجمة :عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين، ط1، دار الجهاد ، القاهرة ، 1957

[18] ـ مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 61 ـ 63

[19] ـ مالك بن نبي: المصدر نفسه، ص 65 ـ 66

[20] ـ نقلا عن كتاب منح خوري: التاريخ الحضاري عند أرنولد توينبي، ص 102 – 104

[21] ـ أرنولد توينبي: مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة محمد فؤاد شبل، ط2، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة 1966، ج1، ص 355

[22] ـ منح خوري: المرجع نفسه، ص104

[23] ـ أرنولد توينبي: مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص 112 ـ 466

[24] ـ المرجع نفسه، ص123

[25] ـ ا. توينبي: مختصر دراسة للتاريخ، ج1ن ص 176 ـ 177

[26] ـ المرجع نفسه ج2 ، ص214 - 244

[27] ـ المرجع نفسه ، ج3، ص 17 - 18

[28] ـ مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ط1، 1962، القاهرة، ص28

[29] ـ مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ص19

[30] ـ مالك بن نبي: المصدر نفسه، ص28 ـ 36

[31] ـ مالك بن نبي: أمصدر نفسه، ص50 -52

[32] ـمالك بن نبي: شروط النهضة، ص105 ـ 107